الدين على اكمل احوالها واجل امورها واحسن اصولها وفروعها ومن راى ذلك
بغير هذا فقد خاب سعيه وظل هواه وحصل في هواة المكر والمقت فان قلت
كيف كمال وظايف الدين وجمال امورها وحسن اصولها وفروعها فالجواب ان اعمال
الدين على قسمين ظاهر وباطن اما الظاهر فاعمال الجوارح وتحسينها
وتكميلها والاتيان بها على اكمل وجوهها التي حافظ عليها النبي صلى الله
عليه وسلم وايرادها موارد الجلال السني كان النفوس كالتقصير لما بيه من الاداب
عن جميع ابعاد النبوية العلية واما الباطن فاعمال القلب وتحسينها
اخلاص الوجهة فيها الى الله تعالى بمراقبته خالية من الاوهام طاهرة من جميع
الخطرات منزهة عن الالتفات لشيء غير الله تعالى وذلك على مراتب بدايتها
ما تقتضيه المراقبة وتمكينها ما تقتضيه المشاهدة ونهايتها ما تقتضيه المعرفة
الى ما لا غاية له فاشار صلوات الله وسلامه عليه في اخباره عن الاحسان الى
الى الغاية التي لا نهاية لها ثم عطف بالاشارة الى بدايته بقوله فان لم
تكن تراه فانه يراك يعني المراقبة كانه يقول حرمة الاحسان المشاهدة ومن
لم يقو على ذلك فالمراقبة فالمقصود من الاحسان ما يرجع الى تصفية الروح
من اثار الاوهام ليحصل بذلك على نهاية التوحيد وهذا المقام يعم جميع درجات
سائر المقامات ولا شك ان بداية التوحيد اصل في كمال بداية وظايف الدين ونهايته
اصل في كمال نهايتها فاذا تقرر هذا فاعلم ان للاحسان ثلاث منازل البداية
وهي المراقبة والتمكين وهو المشاهدة ونهاية وهي المعرفة فان قلت
السبب من الحديث ان الاحسان مراقبة ومشاهدة فمن اين جاءت القسمة

الثالث

الثالث فالجواب ان الحديث اشار الى القسمين وسكت عن
النتيجة لحصولها بالمعنى ولا شك ان المراقبة اذا احكمت وقام بمعناها بالروح
انه فيلزم حصلت المعرفة فاشار الحديث الى ما تحصل به المعرفة وهي المراقبة
والمشاهدة ولو كانت المعرفة سببا لغاية بعدها انبه عليها لانها هي
الغاية التي قصدها السالكون وامها الطالبون وان كان في هذا كلاما سنورده
عاصيا فلا حرج ان نشير الى مباديها بما تسمح به العبارة من البيان والله المستعان

المنزل الاول من منازل الاحسان

اعلم وفقني الله واياك من احوال اهل المراقبة ما يرحلنا في زمر اوليائه
وحزب اصفيائه ان المراقبة هي بداية مقام الاحسان واول منزل من منازله قال
الله عز وجل وكان الله على كل شيء رقيبا والمراقبة تمكين في الروح باطلاع الله
الله عليه فيلازم الوجهة بترقب كشف الحجاب عن وجه القلب لتتصل المراقبة
بالمراقبة ولا مطمع في هذه المراقبة لمن يغيب عليه بقية من هوى نفسه لانه يحبها
من اعانات القلب وحفظ الانفاس مع الله تعالى نعم تطلق المراقبة
باعتبارات اخرى ترجع الى المحاسبة اذ لا يكاد يخلو منزل من منازل المقامات
عن شيء من معناها ومرادنا هنا بالمراقبة ما يحصل عن علم صادر عن تصديق
ثابت وهي المراقبة الثابتة الخاصة باهل مقام الاحسان الصادرة عن ذوق
بكشف واطلاع لانها مراقبة مطالع شعاع شمس المشاهدة في افق التوحيد
المبين طالعة عين التشبيه ونلمح امارات الازل وهي من مبادي الوصلة
وعلامات القرب قال بعض العارفين من لم يحكم بينه وبين الله تعالى

Copyright © King Saud University